تراث الصحابة رضي الله عنهم في الدرس القرآني عند علماء الأندلس

د. حسن الوراكلي

ملخص البحث

عرّف القرآن الكريم بقدر الصحابة العالي، فقال عز من قائل﴿وَالسَّـٰبِقُونَ ٱلاَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَالاَنصارِ وَالذِينَ إتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ وأثنى رسول الله ﷺ على منزلتهم السنية، فقال: «والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». وبذا عُلِم أمرهم وشُهر بِرّهم كما قيل بحق.

وقد وعى المسلمون كافة هذه المكانة الرفيعة التي بوأها الكتاب والسنة صحابة رسول الله ﷺ فمحضوهم وافر مودة واتخذوهم خالص قدوة.

وكان من ثمرات المنظومة المعرفية والأخلاقية والسلوكية التي صاغت شخصية الصحابي ونسجت سيرته تراث خصب غَرف منه علماء الأمة وأدباؤها في المشرق والمغرب ما شاءوا من علم ثابت، وعمل بان، وخُلق هاد.

ومن ذلك التراث ما اتصل بالنص القرآني تأريخا وتفسيرا وقراءة وإعجازا أفاد منه المشتغلون من العلماء بالتفسير وبغير التفسير من علوم القرآن الكريم.

وتجتهد هذه الورقة في الكشف عن شواهد من ذلكم التراث استثمرها علماء الأندلس في درسهم القرآني.

وقد أفردت لذلك فقرات أربعة يسبقها تمهيد ويعقبها ختام، وذلك على النحو التالي:

- تمهيد في مصطلح التراث.
- تراث الصحابة في الدرس القرآني لدى الأندلسيين:
  - في التأريخ للنص القرآني.
  - في تفسير النص القرآني.
  - في بلاغة النص القرآني.
  - في قراءة النص القرآني.
  - في مبهم النص القرآني.
- خاتمة.

الباحث في سطور

الدكتور حسن الوراكلي alwaragli@hotmail.com

- من مواليد مدينة تطوان عام 1941م.
- أستاذ جامعي بقسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكليتي الآداب بتطوان ووجدة.
- دكتوراه الدولة في الآداب الأندلسية ـ جامعة مدريد المركزية.
- شغل مناصب علميةً عديدة في الجامعات والمراكز العلمية بمكة المكرمة وغيرها.
- كتب في العديد من الصحف والمجلات الثقافية، والأدبية، والدعوية مغربية ومشرقية، ونشر بحوثه وتحقيقاته ومترجماته في صحف ومجلات محكمة عديدة، وشارك في ندوات ومؤتمرات علمية وأدبية وفكرية عديدة وطنية ودولية.
- نشر أعمالا علمية وفكرية وأدبية عديدة، منها:
  - شيوخ العلم وكتب الدرس في سبتة.
  - المقامات اللزومية لأبي طاهر السرقسطي (تحقيق وتقديم).
  - وشي وحلي (كلمات وفاء وحب في رجالات عرفتهم).
  - المسلمون وأسئلة الهوية.

تقـــدم

عرف القرآن الكريم بقدر الصحابة المنيف، فقال عزمن قائل ﴿وَالسَّـٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَالأَنصارِ وَالذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1]، وأثنى رسول الله ﷺ على منزلتهم السنية، فقال كما في صحيح البخاري «والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وبذا علم أمرهم وشهر برهم كما قيل بحق.

وقد وعى المسلمون هذه المكانة الرفيعة التي بوأها الكتاب والسنة صحابة رسول الله ﷺ فمحضوهم وفير مودة واتخذوهم رفيع قدوة.

وكان من ثمرات المنظومة العلمية والسلوكية التي صاغت شخصية الصحابي ونسجت سيرته تراث خصب غرف منه علماء الأمة وأدباؤها في المشرق والمغرب ما شاءوا من علم هاد، وعمل بان.

وتجتهد هذه الورقة في الكشف عن شواهد من ذلكم التراث استثمرها علماء الأندلس في درسهم القرآني.

وقد أفردت لذلك فقرات ثلاثة يسبقها تمهيد ويعقبها ختام، وذلك على النحو التالي:

أ ـ في التأريخ للنص القرآني.

ب ـ في تفسير النص القرآني.

ج ـ في مبهم النص القرآني.

---

(1) سورة التوبة: الآية 100.

ـ أ ـ

قبل أن ننظر في استمداد علماء الأندلس في درسهم القرآني من تراث الصحابة واستبيان مناهجهم في ذلك يجدر بنا أن نجيب عن سؤالين، أولهما سؤال المراد عندنا بتراث الصحابة بخاصة، ثم نردفه بالسؤال عن مفهوم للتراث نعالج في ضوئه مباحث فقرات هذه الورقة.

أما مرادنا بتراث الصحابة فهو كل ما أثر عنهم من نظر وفعل. وهو بهذا ذو بعدين:

أولهما: بعد نظر وعلم، وهو المعبر عنه بـ (قول الصحابي) في تفسير، أو سبب نزول، أوفتوى، أو قضاء.

وثانيهما: بعد عمل وسلوك تجسد في جهودهم الموصولة التي استرخصوا فيها أموالهم وأنفسهم لنشر رسالة الاستواء وترسيخ كلمة الاهتداء.

ويهمنا من بُعدي هذا التراث في هذه الورقة البعد الثاني، أي بعد النظر والعلم، ويهمنا منه بخاصة ما تعلق بالدرس القرآني.

وأما مفهوم التراث الذي ستهتدي هذه الورقة به فهو الذي استخلصناه من معاني التراث المعجمية ومن دلالاته الفكرية، فإن لكلمة التراث في لسان العرب معاني، منها معنى الإرث؛ أي ما يخلفه المرء لذويه من تركة يرثها بعضهم عن بعض قدما. ومنها معنى الأصل، أي الأمر القديم الذي يتوارثه الآخر عن الأول على نحو ما يستفاد من قول الرسول ﷺ لأهل عرفة «اثبتوا على مشاعركم هذه فإنكم على إرث من إرث إبراهيم» رواه الترمذي وابن ماجة. ومن معانيها معنى توريث النار، أي إيقادها بإذكاء جذوتها نفخا فيها أو تنحية لما علاها من رماد.

ففي المعنيين الأول والثاني ما يوحي باتصال الأجيال من خلال تعقيب هذا الإرث أو ذاك الأصل في أفرادها خلفا عن سلف. وفي المعنى الثالث ما يوحي بفكرة الانبعاث الحضاري الذي هو أشبه شيء، حين يغير الحاضر وفق ثوابته الموروثة، بتوريث النار إذ يحرك ما كمن من جذوات متقدات تحت رمادها.

واتصال الأجيال بتعقيب الإرث يستدعي ـ فيما يستدعي من وشائج عقلية وشعورية تمتن حبل الاتصال ـ مرجعية تصورية تتوحد وفق ثوابتها ومقاصدها دون أن يمنعها هذا التوحد من الاختلاف في الفهم والتطبيق.

وما يصل بين الأجيال المسلمة هو الوحي المتضمن العقيدة والشرعة والمنهج، ولا نقول عن الوحي تراثا، ولكن نقول إنه منبع التراث عند المسلمين الذي هو فهمهم إياه. وهو كأي تراث يساءل ويناقش، ويؤخذ منه ويرد، والعكس لا يصح ﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَلاَ مُومِنَةٍ إِذَا قَضَى أَللَّهُ وَرَسُولُهُۥ أَمْراً اَن تَكُونَ لَهُمُ اُلْخِيَرَةُ مِنَ اَمْرِهِمْ﴾[1].

فهل يندرج في ضوء هذا المفهوم للتراث ما أسميناه بتراث الصحابة باعتباره فهما لمرجعيتهم التصورية ـ أي الوحي المتضمن العقيدة والشرعة والمنهج ـ وتفاعلا معها فيما بلوره علمهم وجسده عملهم يساءلون فيه ويناقشون، ويؤخذ منهم ويرد؟

للعلماء في الإجابة عن هذا السؤال مذاهب:

مذهب يرى أصحابه أن تراث الصحابة أو قولهم في التفسير من قبيل المرفوع. وقصر بعضهم المرفوع على أسباب النزول. قال السخاوي في شرح بيت العراقي من ألفيته:

وعد ما فسره الصحابي ●●● رفعا فمحمول على الأسباب.

---

(1) سورة الأحزاب: الآية 36.

(وأما «عد ما فسره الصحابي» الذي شاهد الوحي والتنزيل من آي القرآن(رفعا) أي مرفوعا. وقوله «فمحمول على الأسباب» للنزول ونحوها مما لامجال للرأي فيه)[1] ومعناه ما تعلق من قوله في أسباب النزول يعتبر محمولا، وبذلك يخرج عن كونه قولا للصحابي، وإنما يعد رواية للصحابي عن رسول الله ﷺ، وبهذا يخرج عما سميناه (تراث) الصحابي.

ومذهب آخر اعتبر أصحابه تراث الصحابة القولي حجة هي ثمرة اجتهاد مبني على ما اختصوا به عن سواهم من قرائن الأحوال بجانب وقوفهم على أسباب النزول وتمكنهم من اللسان العربي لاسيما علماؤهم وكبراؤهم فهم أقوى الناس استنباطا واجتهادا)[2].

وخلافا لهذا المذهب وذاك ذهب فريق ثالث إلى إدراج تراث الصحابة في التفسير ضمن الموقوف معتبرين إياه فهما للنص قابلا للنظر أو هو بعبارتنا من الكلام الذي يؤخذ منه ويرد بالمساءلة والمناقشة. وهذا ما عبر عنه أبو حنيفة بقوله «ما جاء عن النبي ﷺ فهو على الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيرنا»[3]. بل ذهب ابن حزم إلى أبعد من هذا حين حصر مصادر التفسير عنده في قوله «ولا يجوز أن يفسر كلام الله تعالى إلا بكلامه، أو بكلام رسول الله ﷺ، أو بلغة العرب التي أخبر الله تعالى أنها أنزل القرآن بها، وباليقين الذي لا شك فيه أنه مراد الله تعالى»[4] مستبعدا بذلك تفسير الصحابة باعتباره إياه من باب مذهب الصحابي وهو لا يحتج به كما هو مقرر عنده.

---

(1) فتح المغيث (1/ 123).
(2) تفسير ابن كثير (1/ 15).
(3) المحلى (3/ 288).
(4) الاستيعاب (1/ 2).

وخلاصة الكلام في المراد ب(تراث)الصحابي:

1 ـ قول الصحابي في «أسباب النزول» حكمه حكم المرفوع (أي مسند).

ب ـ قول الصحابي في غير أسباب النزول من وجوه التفسير موقوف.

ـ ب ـ

ومن المناسب ونحن نمهد للنظر فيما أفاد المعنيون من علماء الأندلس بالدرس القرآني من تراث الصحابة أن نستبين ملامح الصحابي العلمية والسلوكية في تصورهم مما قد يسعف في معرفة ما كان له من أثر في أسلوب إفادتهم من التراث المذكور وكيفية استثمارهم له في درسهم القرآني.

ويمكن القول بأن أبرز ما يستخلصه الباحث من أقوال العلماء الأندلسيين في الصحابة يتمثل في التنويه بعدالتهم التي ثبتت عند الله عَزَّوَجَلَّ بثنائه عليهم، وثناء رسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ كما يقول ابن عبد البر «ولا أعدل ممن ارتضاه لمحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه»[1] وكما يؤكد أبو إسحاق الشاطبي ذلك بما ثبت عند الخلق من أهل السنة على الإطلاق والعموم إذ أخذوا عن الصحابة «رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته، وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أي عدول بإطلاق. وإذا كان كذلك فقولهم معتبر وعملهم مقتدى به»[2].

(1) الموافقات (4/ 75).

(2) العواصم من القواصم (1/ 75).

أما ملمح السلوك فيستخلص من ثنائهم على ما بذلوه من نفس ونفيس في سبيل دعوة التوحيد وإرساء أسس الإيمان بما عبر عنه أبو بكر ابن العربي بـ «تأسيس الإسلام وتعضيد الدين وإقامة المنار، وافتتاح الأمصار، وحماية البيضة، وتمهيد الملة»[1].

والمستفاد من هذه النصوص اتفاق أصحابها على القول بما يستدل به، فضلا عن عدالة الصحابة، على عملهم الذي لم يكن ـ كما يقول ابن العربي ليدانيهم فيه أحد، «ويبلغ شأوهم فيه بشر»[8] مع ما كان من (تفاوتت درجاتهم فيه، فمن سابق ولاحق، وأول وآخر)[2] كما يستخلص من نقول أولئك العلماء بخصوص علم الصحابة أنه علم معتبر مع تفاوت مستوياتهم فيه، فابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، ومكانته لدى المشتغلين بالدرس القرآني من علماء الأندلس، كما هي عند غيرهم، الصدارة، يدل على ذلك وفرة النقول عنه عند المفسرين مثل ابن عطية وابن جزي وغيرهما.

على أن حظوظ الصحابة من العلم بكتاب الله وفهمه كانت متفاوتة. ومن المسلم به أن أوفرهم حظا من ذلك هم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن زيد، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير[3] ومع ذلك فإن ما وصلنا من تراثهم فيما اصطلح على تسميته عند الفقهاء بأدلة الأحكام الفرعية، وهو ما يعرف بـ(قول الصحابي) ليس موضع اتفاق بين العلماء في اعتباره دليلا شرعيا، فمنهم من قصر الأمر على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، ومنهم من وسع فشمل به الخلفاء الراشدين الأربعة[4].

---

(1) العواصم من القواصم:(1/ 175).
(2) تفسير ابن كثير (1/ 15).
(3) كلمة أبي حنيفة.
(4) المحلى (3/ 288).

ويجدر بنا ونحن مقبلون على قراءة ما استثمره علماء الأندلس من تراث الصحابة في درسهم القرآني أن نطرح تساؤلات عن كيفية ذلكم الاستثمار نفتتح بها الفقرة التالية.

-ج-

أي أثر كان لهذا النظر المسدد إلى مقام الصحابة الرفيع علما وعملا على التعامل مع تراثهم في الدرس القرآني عند المعنيين به من العلماء الأندلسيين؟

- هل اقتصر تعاملهم مع هذا التراث بنقله؟
- أم شفعوا هذا النقل بالتعقيب والمناقشة؟
- هل أخذوا منه ولم يردوا؟
- أم أخذوا منه وردوا؟

وبصيغة أخرى: إلى أي مدى اعتمد المعنيون بالدرس القرآني من علماء الأندلس على تراث الصحابة، وما مناهجهم في ذلك؟ وما مواقفهم من أقوالهم في التفسير وفي غير التفسير؟

إن ما سنقف عليه من صور لتراث الصحابة فيما وظفه علماء الأندلس في درسهم القرآني ذو دلالة على اعتبارهم إياه موقوفا؛أي فهما يؤخذ منه تارة للاحتجاج والاستشهاد، وتارة أخرى يورد نصه مشفوعا بالتعقيب عليه أو المفاضلة بين أفهامهم للنص القرآني. وبهذا يتبين لنا أن أصحاب هذا الدرس تعاملوا مع ما ثبت لديهم وقفه من تراث الصحابة في التفسير وغيره من علوم القرآن كما يتعاملون مع أي تراث آخر يؤخذ منه ويرد.

ونذيل التساؤلات السابقة بآخر، هو: أتراهم بهذا المنهج، وهم المالكية في الفروع، خالفوا منهج إمامهم مالك في اعتباره تراث الصحابي من قول أو فتوى حجة يعمل بمقتضاها؟

لقد أخذ غير واحد من أصحاب كتب الأحكام القرآنية أو التفاسير الفقهية الأندلسية مثل ابن عطية والقرطبي (سار على) بما ذهب إليه الإمام مالك، واعتبر مفسر آخر هو ابن جزي أن «كل ما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن»[1] غير أن ما يقف عليه الباحث مما أورده هؤلاء المفسرون وغيرهم من تراث الصحابة في التفسير وفي غير التفسير من علوم القرآن يؤكد أنهم نقلوا منه تعضيدا لدرسهم وناقشوا منه تعضيدا كذلك لدرسهم.

ـ د ـ

وهذا الذي ألمعنا إليه من طرائق في تعامل علماء الأندلس مع تراث الصحابة في درسهم القرآني سقنا للتمثيل له في أصل هذا البحث شواهد عدة نكتفي منها في هذه الورقة بنصوص للسهيلي في مواضيع ثلاثة تتعلق بـ:

1) **التأريخ للنص القرآني.**

وقد ساق حوله السهيلي نقلين اثنين:

أولهما: نقل تعضيد لقول ابن عباس رضي الله عنهما ساقه صاحب السيرة وتبناه السهيلي في نصه التالي الذي عرض فيه لتاريخ نزول القرآن الكريم. قال:(وذكر قول الله تعالى﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[2] إلى آخر الآية مستشهدا بذلك على

---

(1) الاستيعاب (1/ 2).

(2) سورة البقرة: الآية 184.

أن القرآن أنزل في شهر رمضان وفي ليلة القدر من رمضان.فبين أن القول بنزوله في شهر رمضان وفي ليلة القدر منه (يحمل تأويلين: أحدهما: أن يكون أراد بدء النزول وأوله؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره. والثاني ما قال ابن عباس أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا، فجعل في بيت العزة مكنونا في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة، ثم نزلت منه الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين والنوازل الحادثة إلى أن توفي رسول الله ﷺ. وهذا التأويل أشبه بالظاهر وأصح في النقل، والله أعلم)[1].

وثانيهما: نقل مشفوع بالنظر في تعدد الرواية حول مدة فترة الوحي ابتغاء التوفيق بين مضامينها.

وقد اجتهد السهيلي في نقله من أنس بن مالك وابن عباس في تحديد فترة الوحي بالموازنة بين الروايات المتباينة والتوفيق بينها، فقال: «...جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها سنتان ونصف سنة. فمن هذا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مكثه بمكة كان عشر سنين، وقول ابن عباس: ثلاث عشرة سنة، وكان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر. فمن عد مدة الفترة وأضاف إليها الشهر الستة كانت كما قال ابن عباس: ومن عدها من حين حمي الوحي وتتابع كما في حديث جابر كانت عشر سنين. ووجه آخر في الجمع بين القولين أيضا وهو أن الشعبي قال: وكل إسرافيل بنبوة محمد ﷺ ثلاث سنين ثم جاءه بالقرآن جبريل، وقد قدمنا هذا الحديث ورواه أبو عمر في كتاب (الاستيعاب). وإذا صح فهو أيضا وجه من الجمع بين الحديثين، والله أعلم»[2].

---

(1) الموافقات (4/ 75).

(2) العواصم من القواصم (1/ 75).

2) تفسير النص القرآني:

التفسير بالمأثور أصح طرق التفسير، وهو ذو مستويات أعلاها القرآن والحديث، ثم أقوال الصحابة فالتابعين. على أن الصحابة وإن كانوا يشكلون الطبقة الأولى من طبقات التفسير إلا أنهم يتفاوتون من حيث الفهم للنص القرآني ومن حيث كمية ما روي عنهم، وقد اعتبر علي ابن أبي طالب وابن عباس على رأس القائمة، يؤكد ذلك شهادة الأخير في مصدره (ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب)وشهادة هذا بقوله في تفسيرابن عباس «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق..» أما من حيث قدر المروي منه فابن عباس أكثرهم كلاما في التفسير وهو ما وسع دائرة الاستفادة من تراثه في كتب التفسير بعامة، ومنها كتاب (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)لابن عطية الغرناطي، وهو أكثر مفسري الأندلس إفادة من تراث الصحابة الفقهي في تفسير آيات الأحكام، فلا يقف عند نص تضمن حكما إلا ويورد ما لديه من أقوال الصحابة فيه. وقريب منه في ذلك ابن جزي في (التسهيل) بل إن من المفسرين من كان يبتدئ تفسير كل آية بقول ابن عباس ما وجد له نصا.

وقد تعددت وجوه استثمار ما نقله أصحاب الدرس القرآني في التفسير وفي غير التفسير من تراث الصحابة في استجلاء معان أو تقرير أحكام، أو استشهاد بقراءة معينة.

ونسوق فيما يلي أمثلة مما أفاده السهيلي من تراث الصحابة في التفسير المذكور:

أولها: نقل مشفوع بتعقيب تصحيح ما يعزى من تفسير للصحابي:

قال السهيلي فيما نسب لابن عمر عن قوله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة: الآية 221.

إتيان النساء في أعجازهن محرم. وتحريمه مأخوذ من قواعد الشرع الثلاث، وهي الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فاستنبط التحريم منه من ثلاث آيات:

- **الأولى**: قوله عز وجل: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.
- وأما **الآية الثانية** فقوله عز وجل في قوم لوط ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ﴾(1).
- وأما **الآية الثالثة** فقول سبحانه و تعالى ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً﴾(2) فنبه على علة التحريم لوطء الحائض.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن ذلك، فقال:«هي اللوطية الصغرى» وهذا أولى بابن عمر من رواية من روى عنه غير ذلك. وهي رواية منكرة عن نافع عن ابن عمر.

وقد سئل نافع عن ذلك فأنكر أن يكون رواه عن ابن عمر، وقال:إنما كان يعرض القرآن في المصحف، فمرت به هذه الآية ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، فقال: هو أن يأتيها في، وسكت. وهذا يحتمل أن يكون ابن عمر أراد: أن يأتيها من قبلها من أي جهة شاء، لأن قول الله ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ إنما معناه: من أين شئتم. فليست «أنى» في كلام العرب بمعنى «أين» حتى يضاف (إلى «أين» «من») كما قال الله عز وجل: ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا﴾ أي: من أين جاءك هذا. فكذلك قوله: ﴿أَنَّىٰ

(1) سورة الشعراء: الآية 166.

(2) سورة البقرة: الآية 220.

شِئْتُمْ﴾ أي: فجيئوهن إلى موضع الوطء، وهو موضع الولد، من أين شئتم، مقبلة أو مدبرة)[1].

وثانيهما نقل تعضيد لتفسير الصحابي مع التنويه بقدره وسعة علمه بكلام رب العالمين وفهمه له والرد على من خالف:

قال السهيلي تعقيبا على ما ذكر ابن إسحاق بخصوص سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: «وتفسيره لها في الظاهر خلاف ما ذكره ابن عباس حين سأله عمر عن تأويلها فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها نبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بانقضاء أجله، فقال له عمر: ما أعلم منها إلا ما قلت. وظاهر هذا الكلام يدل على ما قاله ابن عباس وعمر؛ لأن الله عز وجل لم يقل: «فاشكر ربك، واحمده» كما قال ابن إسحاق: إنما قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَاً﴾[2] فهذا أمر لنبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالاستعداد للقاء ربه تعالى والتوبة إليه، ومعناها الرجوع عما كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين، إذ قد فرغ من ذلك، وتم مراده فيه، فصار جواب «إذا» من قوله تعالى:﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ محذوفا. وكثيرا ما يجيء في القرآن الكريم الجواب محذوفا، والتقدير: إذا جاء نصر الله والفتح فقد انقضى الأمر ودنا الأجل، وحان اللقاء، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَاً﴾. ووقع في مسند البزاز مبينا من قول ابن عباس فقال فيه: فقد دنا أجلك فسبح، هذا المعنى هو الذي فهمه ابن عباس، وهو حذف جواب «إذا». ولما لم يتنبه لهذه النكتة حسب أن جواب «إذا» في قوله سبحانه ﴿فَسَبِّحْ﴾، كما تقول «إذا جاء رمضان فصم» وليس في هذا التأويل من المشاكلة لما قبله ما في تأويل ابن عباس فتدبره، فقد وافقه

(1) العواصم من القواصم (1/ 75).

(2) سورة النصر: الآية 13.

عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسبك بهما فهما لكتاب الله تبارك وتعالى، فالفاء على قول ابن عباس رابطة لأمر بالفعل المحذوف وعلى ما ظهر لغيره رابطة لجواب الشرط الذي في «إذا»)[1].

3ـ مبهم النص القرآني.

المبهمات علم هدف به أصحابه إلى معرفة ما أبهم اسمه في القرآن الكريم من إنس أو غير إنس ممن خلق الله، ومن حيوان وغير حيوان مما ذرأ. وقد كان للصحابة رضوان الله عليهم عناية بالتعرف على ما ورد مبهما في سور الذكر الكريم، وقد ظل ابن عباس رضي الله عنهما فيما تحدث به سنين يريد أن يسأل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ لا يمنعه إلا مهابته، وكذلك ظل مولاه عكرمة بن عبد الله أربع عشرة سنة يطلب اسم الذي خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت. ﴿وَمَنْ يَّخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِراً اِلَى أللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[2].

ويعتبر السهيلي أكثر مفسري الأندلس إفادة من (تراث) الصحابة في مبهم القرآن الكريم؛ بل إنه يعتبر أول من أفرد مبهمات القرآنية بكتاب سماه (التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام).

وأسوق فيما يلي أمثلة ثلاثة من إفادة السهيلي من تراث الصحابة في المبهمات القرآنية:

أولها: نقل مجرد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو متعلق ب(مجمع البحرين) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِفَتَيٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾[3] ينبه

---

(1) العواصم من القواسم (1/ 75).

(2) سورة النساء: الآية 99.

(3) سورة الكهف: الآية 59

على حكمة الله تعالى في جمع موسى مع الخضر عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ بمجمع البحرين، وذلك أنهما بحران في العلم، أحدهما أعلم بالظاهر، وأعني بالظاهر علم الشرعيات، وهو موسى، والآخر أعلم بالباطن وأسرار الملكوت وهو الخضر، فكان اجتماع البحرين بمجمع البحرين)[1].

وثانيها: نقل مشفوع بتعقيب يغني موضوع المبهم ويجلي جوانبه استنادا إلى نصوص القرآن، ومن ذلك لفظ (الرعد) في قوله تعالى﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾[2] قال:(الرعد اسم ملك، وروي عن عباس أنه في السماء الثالثة، ومنها ينزل قطع الغمام) ثم شفع السهيلي بالتعقيب التالي «وإذا صح هذا وجدنا بالمشاهدة رعدا في المشرق، في المغرب، ورعدا في الآفاق، فذلك ـ والله أعلم ـ من قبل أن له أعوانا، فتكون هذه الرعود أعوانا مضافة كما يضاف قبض الأرواح إلى ملك الموت تارة وإلى أعوانه أخرى.قال الله تعالى:﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[3] وقال عزوجل: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[4] وهذا مجاز، والحقيقة قوله سبحانه ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾[5][6].

ونحو منه في قوله تعالى﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7] أورد قول عكرمة (هم أبو بكر وعمر) ثم ساق قول قتادة (هو أبو بكر)وقال على ومجاهد (هو علي بن أبي طالب) ثم عقب بقوله: «ولفظ الآية عام، والأولى حملها على العموم»[8].

ooooo

(1) التعريف والإعلام (ص188).
(2) سورة الرعد: الآية 14.
(3) سورة الأنعام: الآية 62.
(4) سورة السجدة: الآية 11.
(5) سورة الزمر: الآية 39.
(6) التعريف والإعلام (ص150-151).
(7) سورة التحريم: الآية 4.
(8) التعريف والإعلام (ص 342).

تلكم أمثلة من تعامل الدرس القرآني الأندلسي مع تراث الصحابة العلمي أفاد منه واغترف، لكنه لم يقف به أصحابه عند حدود النقل الذي يراد به الشاهد والتعضيض؛ وإنما شفعوه بضروب من التعقيب والاستدراك، منها ما تضمن شرحا وتصحيحا، ومنها ما تضمن اجتهادا في التوفيق بين أقوال تدافعت، والجمع بين روايات تباينت، ومنها ما تضمن فهما يغني موضوع النقل ويجليه استنادا إلى النص القرآني، ومنها ما تضمن وجهة نظر نقدي في تبيين معان وتوضيح أحكام يراها أولى بالأخذ والاعتماد.

ومثل هذا الاستثمار لتراث الصحابة ذو دلالات، أبرزها اثنان:

أولهما حرص المعنيين من علماء الأندلس بالدرس القرآني بالاستفادة من تراث الصحابة العلمي مرفوعه وموقوفه.

وثانيهما استثمار التراث المذكور في نطاق الموقوف منه وفق قراءة نقدية مسلحة بالمعرفة الشرعية والآلية. وفي هذا ما ينم عن وعي معمق بالمنهج الأصلح والأفيد في استثمار التراث تكريسا للمعرفة القويمة وتبصيرا بمقاصدها النبيلة.

وكتب بدارة زمزم

أبو أيمن حسن الوراكلي

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة (1974هـ).
- أحكام القرآن، ابن العربي المعافري، تحقيق:علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف ابن عبد البر، تحقيق:محمد علي البجاوي، مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة (1960م).
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، دار الكتاب العربي ـ بيروت (1973م).
- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين إسماعيل بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين، دار المعرفة ـ بيروت.
- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي، دراسة وتحقيق عبد الله محمد علي النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس.
- الروض الأنف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت (1403هـ).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.
- المحلى شرح المجلى، أبو محمد ابن حزم، دار الجيل ـ بيروت.
- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.